قدمشي هذا الامر وتيال فلان ما مشي له امر وسمي بذلك للمشاكلة لذكر الزاحف مع الماشي ومنهم من يمشي على رجلين اي فقط كالادمي والطير ومنهم من يمشي على اربع اي من الايدي والارجل كالنعم والوحش فان قيل لم قصد القسمة في هذه الثلاثة انواع من المشي وقد نجد من يمشي على اكثر من اربع كالعناكب والعقارب والحيوان الذي له اربع واربعون رجلا الذي يسمى دخال الاذن اجيب بان هذا القسم الذي لم يذكر كالنادر ملحقا بالعدم وقال النقاش انه اكتفى بذكر ما يمشي على اربع مشيه وكثرة الارجل لبعض الحيوان ذلك في الخلقة لا يحتاج ذلك الحيوان في مشيه الى جميعها وبان قوله تعالى يخلق الله ما يشا كالتنبيه على سائر الاقسام فان قيل لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب اجيب بانه قدم ما هو اعرب في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من له اربع ارجل او قوايم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع تنبيه انما اطلق من على غير العاقل لاختلاطه بالعاقل في المفصل بمن وهو كل دابة وكان التعبير بمن اولى ليوافق اللفظ ولما كانت هذه الادلة ناظرة الى البعث ثم نظر وكانوا منكرين له اكد ذلك قوله تعالى ان الله اي الذي له الكمال المطلق على كل شيء من ذلك وغيره قدير لانه القادر على الكل والعالم بالكل فهو المطلع على احوال هذه الحيوانات فاي عقل يقف عليها واي خاطر يصل الى ذرة من اسرارها بل هو الذي يخلق ما يشا كيف يشاء ولا يمنعه منه مانع ولما اتضح بهذا ما لله من صفات الكمال والتنزه عن كل شائبة نقص وقامت ادلة الوحدانية على ساق واتسقت براهين الالوهية اي اتساق قال تعالى مترجما لتلك الادلة لقد انزلنا في هذه السورة وما تقدمها بما لنا من العظمة آيات اي بما لنا من الحكم والاحكام والادلة والامثال مبينات للحقايق بانواع الدلائل التي لا اشتباه فيها والله اي الملك الاعظم يهدي من يشا من عباده الى صراط طريق مستقيم وهو دين الاسلام الموصل الى دار الحق والفوز بالجنة ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد اتبعه بذكر قوم اعترفوا بالدين بالسنتهم ولكنهم لم يقبلوه بقلوبهم فقال تعالى ويقولون اي الذين ذمهم الله تعالى آمنا بالله اي الذي اوضح لنا جلاله وعظمته وكماله وبالرسول اي الذي علمنا كمال رسالته وعمومها بما قام عليها من الادلة واطعنا اي واوجدنا الطاعة لله ورسوله ثم عظم المخالفة بين الفعل والقول باداة البعد فقال تعالى ثم يتولى اي يرتد بارتكاب القلب ويعرض عن طاعة الله ورسوله ضلالا لانهم عمي عن الحق فريق منهم اي ناس يقصدون الفرقة من هولا الذين قالوا هذه المقالة وهم معرضون اي

من بعد ذلك

النقول السديد المؤكد مع الله الذي هو اكبر من كل شيء ومع رسوله

الذي

٣٥٦

الذي هو اشرف الخلايق وما اولئك اي البعدا البغضا الذين صاروا بتوليهم في محل البعد بالمؤمنين اي المعهودين الموافق قلوبهم السنتهم فان قيل انه تعالى حكى عن كلهم انهم يقولون آمنا ثم حكى عن فريق منهم التولي فكيف يصح ان يقال عنهم جميعا وما اولئك بالمؤمنين مع ان التولي من فريق منهم اجيب بان قوله تعالى وما اولئك بالمؤمنين راجع الى الذين تولوا لا الى الجملة الاولى ولو رجع الى الجملة الاولى لصح ويكون معنى قوله تعالى ثم يتولى فريق منهم اي يرجع هذا الفريق الى الباقي فيظهر بعضهم الى بعض الرجوع كما اظهروه ولما فضحهم بما اخفوه من توليهم فتح عليهم ما اظهروه فقال تعالى معبرا باداة التحقيق واذا دعوا اي الفريق اي الذين ادعوا الايمان من اي داع كان الى الله اي الى ما نصب الملك الاعظم من احكامه ورسوله وافرد الضمير في قوله تعالى ليحكم وقد تقدمه اسمان وهما الله ورسوله فهو كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه لان حكم رسوله هو حكمه قال الزمخشري كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه ومنهل من الفلا في اوسطه غلسته قبل القطا وفرطه اي قبل فرط القطا بينهم اي بما اراه الله اذا فريق منهم اي ناس يجبلون على الاذى معرضون اي فاجئوا الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم اي على سبيل الفرض الحق اي بلا شبهة ياتوا اليه اي الرسول مذعنين اي منقادين لعلمهم انه يحكم لهم لانهم يعلمون انه دائر مع الحق لهم وعليهم فليس انقيادهم لطاعة الله ورسوله تنبيه قوله تعالى اليه يجوز تعلقه بياتوا لان اتى وجاء قد جاآ معديين بالي ويجوز ان يتعلق بمذعنين لانه بمعنى مسرعين في الطاعة وصححه الزمخشري قال لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص ومذعنين ثم قسم الله تعالى الامر في صدودهم عن حكومته صلى الله عليه وسلم اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب بقوله تعالى افي قلوبهم مرض اي نوع فساد من اصل الفطرة يحملهم على الضلال او مرتابين في نبوته بقوله تعالى ام ارتابوا اي بان رأوا منك تهمة فزال ثقتهم ويقينهم بك او خايفين الحيف في قضايه بقوله تعالى ام يخافون ان يحيف الله اي الغني عن كل شي لان له كل شي عليهم ورسوله اي الذي لا ينطق عن الهوى ثم اضرب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول بقوله تعالى بل اولئك اي البعدا البغضا هم الظالمون اي الكاملون في الظلم ووجه التقسيم ان امتناعهم اما في خلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول فظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم

قلوبهم
فكيف يصح ان يقال
عنهم جميعا وما اولئك
بالمؤمنين مع ان التولي
من فريق منهم

Copyright ... University